يمثل عصر النهضة تاريخا مفصليا في تاريخ الشعر العربي، لأنّه كان سببا رئيسا في النهضة الأدبية في العصر الحديث؛ التي أفضت إلى بروز عدّة مدارس شعرية متعاقبة، كان أولها مدرسة الإحياء والبعث في أواخر القرن التاسع عشر.

1.التعريف بالشعر الإحيائي:

يعتبر "الشعر الإحيائي مدرسة شعرية كلاسيكية جديدة، ظهرت في عصر النهضة الأدبية العربية في أواخر القرن التاسع عشر، وامتدت إلى الربع الأول من القرن العشرين، رائدها الأول الشاعر المصري محمود سامي البارودي(...)، واللافت للانتباه أنّ الاتجاه الإحيائي الشعري قد عبرت عنه تسميات عدّة، يصب جميعها في الدلالة ذاتها والتوصيف نفسه. فقد أطلق عليها الدارسون قرابة خمس تسميات وهي: مدرسة الإحياء والبعث ومدرسة الإحياء والتراث، والمدرسة الاتباعية الإحيائية والمدرسة الاتباعية في الشعر العربي، وأيضا مدرسة النهضة"[1].

ورغم أنّ جميع دارسي الشعر الإحيائي يجمعون على أنّ الشاعر (سامي البارودي) هو رائد الشعر الإحيائي، غير أنّنا نعثر على إشارات صريحة تبين أنّ بدايات الاتجاه الإحيائي كانت مع الشعراء علي الليثي وعبد الله فكري وعائشة التيمورية. أمّا أبرز شعراء مدرسة الإحياء، فهم: أحمد شوقي، ومحمد حافظ إبراهيم من مصر، وشكيب أرسلان وخليل مطران وعمر أبو ريشة وسليم الزركلي ومحمد البزم وعدنان مردم بك من بلاد الشام، ومعروف الرصافي وأحمد الصافي النجفي وجميل صدقي الزهاوي من العراق...[2].

[1] أمال موسى وأخرون: من شعراء الإحياء أحمد شوقي، معروف الرصافي، محمد الشاذلي خزنة دار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألكسو، دم، دط، دت، ص ص 15، 16.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

2. أسباب ظهور الشعر الإحيائي:

– يعتبر الشعر الإحيائي ردة فعل ثقافية على الغزو السياسي والثقافي الأجنبي للوطن العربي، يدعو إلى الحفاظ على الهوية والثقافة العربية.

– تنشئة رواد الشعر الإحيائي تنشئة ثقافية تقليدية يسيطر عليها الموروث الأدبي القديم.

– ضعف اللغة العربية بسب بعض الجهات التي نادت باعتماد اللهجات العامية، إضافة إلى سياسة التتريك التي سعت إلى القضاء على اللغة العربية.

– ازدهار حركة الطباعة والنشر وإنشاء مجمع اللغة العربية وجمعية المعارف ودار الكتب المصرية.

– بروز "حركات الإصلاح الإسلامية والجمعيات والأحزاب السياسية، وبروز نخبة طلائعية ترنو إلى الإصلاح ومواجهة الثقافة الوافدة بسلاح التراث إلى اجتماع عوامل النهضة، التي انطوت على تصوير مخصوص للإصلاح والنهضة، يُهيمن فيه عنصر التراث وتمجيد رموز الماضي العربي المزدهر وإبداعاته في مجالات القول الشعري والنثري والفكري والديني، خصوصا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"[3].

3. سمات الشعر الإحيائي:

اتسم الشعر الإحيائي بما يلي:

– سار شعراء الشعر الإحيائي في بناء قصائدهم على نهج الشعر العربي القديم معجما وبلاغة وإيقاعا، فاستخدموا الشكل العمودي وتقيدوا بأوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما التزموا بقافية موحدة في كامل القصيدة.

[3] المرجع السابق، ص 14.

– نظم المعارضات الشعرية، لأنّ "معارضة الشعراء القدامى في قصائدهم المشهورة يمثل استدعاء وبعثا وإحياء لتجاربهم الشعرية ولزمنهم الحضاري الموسوم بالازدهار الحضاري والقوة الثقافية والسياسية"[4]. وعليه "شكلت المعارضات الشعرية خاصية أساسية من خصائص مدرسة الإحياء والبعث وسمة من سماتها الكبرى، فكان رموزها من أهم شعراء العصر الحديث إبداعا في هذا الفن، حيث عارض رائد شعر الإحياء محمود سامي البارودي أبرز الشعراء القدامى مثل عنترة والنابغة وأبي نواس والمتنبي وأبي فراس الحمداني. ويكاد يُجمع المختصون في مدرسة الإحياء والبعث الشعرية بأنّ أحمد شوقي من أهم رواد فن المعارضات الشعرية في مدرسة الإحياء والشعر العربي الحديث بشكل عام، حيث عارض ابن زيدون وأبا البقاء الرندي والبحتري"[5].

– نظم شعراء الشعر الإحيائي في أغراض الشعر العربي القديم، مثل الرثاء والوصف والمدح والغزل.

– نجد في بعض القصائد الإحيائية تعدد الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة كما في الشعر العربي القديم، حيث يفتتحون القصيدة بالغزل، والوقوف على الأطلال ووصف الدمن والآثار، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الأغراض التقليدية كالرثاء والمدح.

– تحقيق الوحدة الموضوعية في بعض القصائد الإحيائية، فكان لهذه القصائد عناوينا تدل عليها خاصة قصائد المناسبات.

– استحدثوا أغراضا جديدة تساير متطلبات عصرهم لم تكن موجودة من قبل في الشعر العربي القديم، مثل الشعر الوطني، الشعر الاجتماعي، القصص المسرحي، والمناسبات المختلفة.

– جاءت ألفاظ قصائدهم فصيحة وجزلة مستوحاة من قاموس الشعر العربي القديم.

---

[4] المرجع السابق، ص 18.

[5] المرجع نفسه، ص 19.

4. نماذج من الشعر الإحيائي:

1.4. الشعر الإحيائي المحافظ:

يمثل الشعر الإحيائي اتجاها تقليديا محافظا، لأنّه حاكى الشعر القديم شكلا ومضمونا، ومن أمثلة ذلك قصيدة للشاعر (سامي البارودي)، التي التزم فيها منهج البناء المألوف في القصيدة القديمة، مما يشعرك بأنّك أمام قصيدة من العصر الجاهلي، في قوله[6]:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويُعجب

وما أنا ممن تأسر الخمر لبّه ويملك سمعيه اليراع المثقب

ولكن أخو همّ، إذا ما ترجّحت به سورة نحو العلا راح يدأب

نفى النوم عن عينيه نفس أبيّة لها بين أطراف الأسنة مطلب

بعيد مناط الهمّ: فالغرب مشرق إذا ما رمى عينيه، والشرق مغرب

له غُدُوات يتبع الوحش ظلّها وتغدو على آثارها الطير تنعب

همامة نفس أصغرت كل مأرب فكلّفت الأيام ما ليس يوهب

ومن تكن العلياء همّة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

إذا أنا لم أعط المكارم حقّها فلا عزّني خال، ولا ضمّني أب

ولا حملت درعي كُميت طمرّة ولا دار في كفّي سنان مُذرّب

خُلقت عيوفا، لا أرى لابن حُرّة لديّ يدا أُغضي لها حين يغضب

[6] محمود سامي البارودي: ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012، ص ص 45، 46.

فلست لأمر لم يكن منوقّعا ولست على شيء مضى أتعتّب

أسير على نهج يرى الناس غيره لكل امرئ فيما يحاول مذهب

وإنّي إذا ما الشك أظلم ليله وأمست به الأحلام حيرى تشعّب

صدعت حفافي طُرّتيه بكوكب من الرأي، لا يخفى عليه المغيب

وبحر من الهجاء خَضت عُبابه ولا عاصم إلا في الصفيح المُشطب

تظلّ به حُمر المنايا وسُودها حواسر في ألوانها تتقّلب

توسّطته والخيل بالخيل تلتقي وبيض الظُّبا في الهام تبدو وتغرب

فما زلت حتى بيّن الكرّ موقفي لدى ساعة فيها العقول تغيّب

وها هو أمير الشعراء (أحمد شوقي) يعارض سينية الشاعر العباسي الكبير البحتري والتي مطلعها[7]:

صُنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

في قوله[8]:

اختلاف النهار والليل يُنسي اذكرا لي الصبا وأيام أُنسي

وصفا لي مُلاوة من شباب صورت من تصورات ومسّ

عصفت كالصبا اللعوب ومرّت سنة حلوة ولذة خلس

وسلا مصر: هلا سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسّى

[7] البحتري: ديوان البحتري، دار المعارف، مصر، دط، 2009، ص 470.

[8] أحمد شوقي: الشوقيات، مج1، دار العودة، بيروت، دط، 1986، ص ص 45، 46.

كلما مرّت الليالي عليه رق، والعهد في الليالي تقسي

مستطار إذا البواخر رنت أول الليل، أو عوت بعد جرس

راهب في الضلوع للسفن فطن كلما ثُرن شاعهن بنقس

يا ابنة اليم، ما أبوك بخيل ماله مولعا بمنع وحبس؟

أحرام على بلابله الدو ح، حلال للطير من كل جنس؟

كل دار أحق بالأهل، إلا في خبيث من المذاهب رجس

2.4. الشعر الإحيائي التجديدي:

إنّ تعرض جل بلدان الوطن العربي للاستعمار في أواخر القرن التاسع عشر، كان دافعا لتجديد الشعر الإحيائي، فظهر الشعر الوطني والقومي...الخ، ومن أمثلة ذلك قصيدة يتغنى فيها (حافظ إبراهيم) بحبه لمصر، قائلا[9]:

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق

إنّي لأحمل في هواك صبابة يا مصر قد خرجت عن الأطواق

لهفي عليك متى أراك طليقة يحمي كريم حماك شعب راقي

كلف بمحمود الخلال متيّم بالبذل بين يديك والإنفاق

إنّي لتطربني الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاقي

وتهزني ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق

[9] حافظ إبراهيم:

أمّا (أحمد شوقي) فنظم مجموعة من القصائد السهلة، لتكون أدبا وثقافة للأطفال، ومن أمثلة ذلك قصيدة "الجدة"، التي يقول فيها[10]:

لي جد ترأف بي أحنى عليّ من أبي

وكل شيء سرّني تذهب فيه مذهبي

إن غضب الأهل عليّ كلّهم لم تغضب

مشى أبي يوما إليّ مشية المؤدب

غضبان قد هدّد بالضرب، وإن لم يضرب

فلم أجد لي منه غير جدتي من مهرب

فجعلتني خلفها أنجو بها، وأختبي

وهي تقول لأبي بلهجة الونّب:

ويح له ! ويح لهـ ـذا الولد المعذّب !

ألم تكن تصنع ما يصنع إذا أنت صبي؟

[10] أحمد شوقي: الشوقيات، ديوان الأطفال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012، ص 904.